ميشيل دوغلدرود

المسرحية السابعة

اسكوريال

دراما ذات فصل واحد

العنوان الأصلي للمسرحية:

Michel de Ghelderode

Escurial

الشخصيات:

الملك:

هو ملك مريض، شاحب اللون، ذو تاج متقلقل وملابس درنة. تتدلى من عنقه، وتشاهد بيديه، مجوهرات حجارتها مزيفة. إنه ملك مضطرب مهووس بالسحر الشيطاني والشعائر الدينية. وهو ذو أسنان متسوّسة. أما الرسام الأخرق الغريكو فقد رسم له صورة.

فوليال:

هو المهرّج بخلعته ذات الألوان الغامقة. يمشي بساقيه الملتويتين مشية عنكبوت مع مظهره الرياضي. أصله من منطقة الفلاندر. تضيء رأسه الأصهب الذي يشبه كرة ضخمة عينان أشبه بالعدسات.

الراهب:

أسود مصاب بالسل.

الرجل القرمزي:

ذو أصابع فائقة الحجم يعلوها الشعر.

يجـري المشـهـد الأول في إحـدى قـاعـات ذلك القـصـر بإسبانيا. الإضاءة سردابية. تتدلى في صدر القاعة ستائر كامدة تحركها هبات على نحو دائم وتبدو عليها آثار شعارات ممسوحة. تقوم في وسط تلك القاعة درجات عتيقة تغطيها سجاجيد ملأى بالثقوب، تؤدي - عالياً جداً - إلى عرش شكله غريب، كأنه في حالة توازن: إنه عرش مهووس مقهور راض بتلك العزلة المشؤومة، وآخر سليل لعرق منحرف وجليل.

حين ترفع الستارة، يشاهد الملك مكتوماً على العرش، ويداه على أذنيه، يتأوه بشكل مقيت، بينما يسمع خارجاً نباح شديد جداً، متواصل دونما انقطاع، لرهط كبير من الكلاب. وتختلط بتلك الجلبة الكئيبة شتائم ولعلعة أسواط، فيسعى الملك إلى عدم سماعها.

الملك: اذبحوا الكلاب، بكل شراذمها! كفاية! كفاية! هذا مثير للأعصاب! هذا رهيب! أغرقوا الكلاب! اقتلوا الكلاب وحسّها المسبق! كفـ. . .ـا. . .ـاية! . . . **(ينهض ويترنّح)**. يريدون ترويعي. يريدون أن أفقد عقلي، عقلي الملكي! فمن يتولّى المُلك؟ يجعلون الكلاب تتآمر لأن الرجال لا يجرؤون على ذلك. . .

(**تتضاعف حدة العواء**). الرحمة! يا كلاب الليل! يا كلاب الريح! يا كلاب الخوف! يا كلاب... (**يدلف بضع درجات**). يا فوليال؟ يا سيد البهائم، مُرْ بإنهاء كلّ ذلك. أمرٌ من الملك!

أصوات (خارجاً): ... من الملك!... فوليال؟... بإنهاء كل ذلك...

أصوات أخرى: هيه!... إخرس!... وشت!...

الكلاب تصمت

الملك: كلابي؟ لقد قتل كلابي، أرهاطي!... كلابي الجميلة!... يا فوليال، إن الكلاب لا تحب الموت. (**يئنّ**). إنما هو ظلم عظيم أن يقوى الموت على الدخول إلى قصور الملك. آه! يا لكلابي المسكينة المذبوحة!... (**يدخل الراهب فيلمحه الملك**). كلاّ، كلاّ، كلاّ، كلاّ... ليس أنت! فَلْتأت بالأحرى دوريات الحرس، لتطلق النار على هذا الهيكَل العظمي الذي يتسلّل من المداخن!

الراهب (بصوت باهت): يا صاحب الجلالة...

الملك: صمتاً!

الراهب: ...!

الملك: ماذا؟

الراهب (جاثياً على ركبتيه): يا صاحب الجلالة . . .

يتمتم

الملك (يركع أمام الراهب): أنا سأقول لك . **(يقلّد الراهب)**. ليس لجلالتكم أن ترفع الصوت بالشكوى بعد . فليس ما من شأنه أن يعجّل بالساعة التي يعرفها الله وحده، أو يؤخّرها . فلترضَ جلالتكم بالرضوخ وإحناء الرأس والإلمام بمظاهر المصيبة العتيدة . . . تابع، يا ذا العباءة!

الراهب (وحلقه جاف): تعرف جلالتكم أن الحشود والكهنة والمملكة بأسرها، راكعون مثلنا نحن . **(يرفع ذراعه بحركة موعظة)** آه! . . . **(ويرخي ذراعه)** سيكون عملاً مقدساً من أعمال الإحسان الكبرى، إذا ما سمحتم بقرع النواقيس . ورفعتم الحظر الذي فرضته جلالتكم على النواقيس . . . **(يعتدل من ركوعه)**. . . كأنّهم جناة سبّبوا صدمة لصماخَيْ جلالتكم الحسّاسين، فالنواقس هي التي تحيط السماء علماً بأفراح الأرض وأتراحها . . . فهل جلالتكم؟ . . .

الملك (يعتدل وقد استشاط غضباً): كلاّ وكلاّ وكلاّ وكلاّ وكلاّ! . . . لا نواقيس! إذبحوا النواقيس! لقد قرعت طيلة ليالٍ وأيام . أخنقوا الذين يدقّون بها! . . .

(ساخطاً) وذلك المقـــدار كلّه من طقـــوس الموت الدينيـة؟ . . . أيهـا الراهب، سـوف أقـصم ظهـور نواقيسك. لقـد قـرعت داخل رأسي. إن رأسي معبأً بالكلاب والنواقيس. الحق أننا سنموت في هذا القصر بلا نواقيس. سوف نتوجه من غير نواقيس، ومن غير صلوات الرعاع، لنتعفّن بكل مهابة داخل مدافن أقبية هذا القصر، المزخرفة بالشعارات. إننا نسير هنا فوق الأمـوات. ورائحـة الموت تملأ المكان هنا! . . . أنتم تحبون الموت ورائحته ومباذخه! . . . أيها الراهب، ألست ذلك الهيكل العظمي المتسكّع الذي يلاحقني مـــرتدياً ثوب راهب؟ . . . **(يزيح قلنسـوة الراهب فـينكشف وجـهه الأبيض وعـيناه المنكسـرتان. فـيهـدأ الملك)**. هيا إلى واجبك. فليس للملك بأنغام النواقيس من رغبة. كلمتي قلتها! . . . **(يخرج الراهب متـراجعاً كـإنسـان آلي. أما الملـك فيتـحـرك جيئـة وذهاباً وهو يتـحـدث مـع نفسـه)**. نواقــيس. . . كـــلاب. . . الموت. . . كـابوس! . . . الموت. . . نـواقــيس. . . كــــلاب! . . . رايات الكابوس لأبراج النواقـــيس المنكّسـة. . . الكلاب تعضّ النواقـيس. الموت يدنّس

قصري. . . **(بصوت متقطع)**. اصنعوا تابوتاً من الأبنوس، واخترعوا شاهدات قبور باذخة. . . هنا يرقد بسلام!. . . نوحوا، صلّوا، انصبوا منصات للنعوش، البسوا ثياب الحداد، أعطوا رجال البلاط أقنعة ومناديل، وابذلوا ما وسعكم وبسرعة، لكن أخرجوني من ورطة هذا الاحتضار الهزأة!. . . وكأنّ كل ساعة تمرّ لا تشهد رجالاً ونساء يلفظون أنفاسهم فيرمى بهم في مقابر جماعية وسط الكلس من غير أن تسبقهم الأبواق، هيه!. . . **(يهدأ بغتة)** ينبغي أيضاً أن أبكي وأن أصلّي وأن يُمتقع لوني. على أحد الممثلين أن يعلّمني ذلك. أين هم الممثلون التابعون لي؟ على الملك طول عرض حياته النبيلة أن يبدو حساساً. فما عسى أن يقول فيه التاريخ الذي يمنح الملوك ألقاباً مثلما تعطى لسجناء الأشغال الشاقة؟ **(يستدير صوب الحاجز الأيسر)** تعال؟. . . **(يدخل الراهب)** أنت الذي تقيم خلف الحواجز، اصغ لإرادة الملك. . . **(يقول بتواضع مصطنع)**. أريد للنواقيس أن تدق، لكن بكل هدوء، بكل هدوء. نواقيس صغيرة، نواقيس صغيرة جداً لصماخَيْ جلالته الصغيرين. . . **(يريد الراهب أن**

يخرج فيستبقه الملك). أين هو في الحقيقة ذلك الاحتضار؟ ذلك الاحتضار الرسمي، الطويل مثل فصل من تراجيدية؟ . . .

الراهب: جلالتكم تشكّون في ذلك . . . فالعلماء يسعون لإطالة ذلك النفس، ذلك البريق الأخير للأحداق . . . العلماء يحاولون بلا طائل . . .

الملك: المشعوذون الأوفياء! نحن نسبغ عليهم ألقاباً مقابل طبابتهم! أيها الراهب، أحسّ بروحي تتجمّد. هيّا! **(يخرج الراهب. يصعد الملك ببطء درجات العرش، وهو يحكّ قدميه بالسجاجيد. يحاور نفسه)** الملك حزين . . . الملك تغمره الكآبة . . . حين سأشهدها متيّبسة وشاحبة وسط موكب الشموع والشعارات، سوف أتذكر - كثيرة هي الأزهار، كثيرة هي الأزهار! - خطيبة كانت تودّ أن ترضيني . . . - كثيرة هي الأزهار . . . وسوف أنتحب بسبب الأزهار . . . **(يخفي عينيه ويبدو منتحباً)**. . . من أجل مليكتي العزيزة الصغيرة. سوف أبكي مثلما كنت ستبكين عليّ يا مليكتي العزيزة الصغيرة، لو أنّ الموت أخطأ بين شقة وأخرى! . . . **(يضحك مقهقهاً فتطول ضحكته الآلية.**

يقعـد على إحدى الـدرجات) ألاكم الأمر مضحك! وليس من شاهد على دموعي! هيه، يا فوليال؟ . . . أيها المهرج، لِمَ لم تشهد مليكك يبكي! يا فوليال؟ أيمكن أن تكون كلابي افترستك، أيها اللحم المَضْحَكَة؟ . . .

فوليال (نابقاً من وراء العرش، في الأعلى) : كلابك، يا صاحب الجلالة، كلاب ملك، وقد تعضّ جلساءك، لا خدمك.

الملك : أيها الماكر! اشتقت إليك. لزمك كل هذا الوقت لذبح كلابي؟

فوليال : ليس لها من غلطة سوى تحيتها بكل فظاظة للموت، ذلك السارق المغير . . . تلك الكلاب لا طفتها . فأنا، يا صاحب الجلالة، أجيد التحدث إلى الملوك والكلاب . بل هذه نفسها تثير فيَّ الشفقة . . . كانت الكلاب حزينة، يا صاحب الجلالة، وكانت تتألّم . . .

يقبل فيقعد قرب الملك الذي يتراجع

الملك : كانت تتألّم؟ مسكينة تلك الكلاب . وأنا أتألّم أيضاً .

فوليال : مسكين هو الملك!

الملك : آه، ليس مسكيناً ككلب! فأنا لم أتألّم وفق البروتوكول . أرأيتني وأنا أنتحب؟ كلا؟ إذاً أنت لم ترَ

شيئاً. أما إذا قدرت أن تجعلني أضحك وقت الجنازة، فسوف يتكلّم العالم أجمع عن الملك وألمه الكريم. هاتِ أضحكني؟ . . .

فوليال: هاك (**يخرج مرآة من جيب معطفه القصير فيتمرّى ويجهد في تصنّع تشنّج في وجهه. ثم تفلت المرآة من بين يديه. فيلبث المهرج ساكناً والتشنج الرائع على وجهه. فيقول بصوت منخفض:**) ألم الملك!

الملك: مدهش! . . .

تنطلق من حلقه ضحكة مسعورة. فيستدير. وينتاب فوليال القلق.

فوليال: يا صاحب الجلالة، لقد رُقِّيَت التماسيح إلى أعلى المراتب في هذه الآلام الجليلة. فهل يتوفر لديك أحياناً شيء من الماء في الصدغين؟

الملك (يظهر وجهه وقد احمرّ فرحاً): أوآه! يا للتضليل! كان سيرثي لحالي! فعل ذلك مثلي! فإذا ما كنتُ في مدرسة التماسيح، فأنتَ درستَ في مدرسة القرود. هات، شغّل، شغّل خطمكِ.

فوليال (متشنّجاً): اعذرني . . .

الملك: أريد ذلك.

فوليال (يدير ظهره بحثاً عن مكان يختبىء فيه، ثم يخفي وجهه بذراعيه): يا صاحب الجلالة؟ . . . **(ثم ينخرط في الضحك بتشنّج)**.

الملك (وهو يفحص الأرض بقدميه): هذا مليح، هذا مليح جداً! **(يلبث متحيّراً)**.

أما الآن فتوقّف! **(يضحك فوليال بقوة أكبر)** توقّف! . . . **(يباعد بين ذراعي المهرج. فيظهر وجه فوليال متشنّجاً بشكل خال من التعبير)** كنت تبكي؟ . . . أجب؟ . . .

فوليال: هذا بسبب الكلاب . . .

الملك: أتدعي أنك تحسن صنعاً أكثر من الملك؟

فوليال (متمالكاً نفسه): كنت أقصد أن أبيّن لك كم هي سهلة تلك الأغلاط.

وضحك هذه المرة أمام ذهول الملك، ضحكاً حقيقياً وبشدة. وطفقت النواقيس تدق بعيداً. فنقز الملك.

الملك: إضحك أيضاً وأيضاً! فأنا أحب هذا الضحك الفلندري لما فيه من صريف أسنان. إضحك بصوت أعلى! أريد أن يسمعوك حتى آخر القصر. أريد الضحك البهيمي أن يهين الموت نفسه. هيّا بصوت أعلى! . . . **(يصير**

ضحك فوليال مفزعاً؛ إنه زئير) حسبك! . . . **(يكفّ فوليال عن الضحك. فيدلف الملك إلى أسفل الدرجات، وفوليال يتبعه خطوة فخطوة)**. أودّ أن أضحك أيضاً، وأن أسلك سلوك البهائم.

فوليال: تناسَ البروتوكول.

الملك (ملتفتاً): ماذا تقول؟ إذاً ليس هناك من أمل في سماع أية نكتة منك، يا مهرج الشؤم؟ ماذا دهاك؟ . . .

فوليال: حالة طارئة.

الملك (يتحرك ذهاباً وإياباً وفوليال يسير على أعقابه): ها قد مضت أسابيع، أسابيع مظلمة وأنت تعاني اليأس والملل، وترسم بوجهك تشنجات لحسابك الخاص! وبشاعة. في حين تقوم مهنتك على الإضحاك! أنا من جانبي أنتظر الخلاص. أنتظر الموت أن ينصرف بعيداً. وأنت لا تنطق بكلمة مضحكة، ولا تؤدي من هرجة كرمى لمليكك! أنت مترع خلاًّ! . . . **(يتوقف)** لماذا تسير خلفي؟ . . .

فوليال: أدوس على ظلّك! . . .

الملك (راضياً): وأخيراً، أعثر عليك . . . فأنت أنت مجدداً متغطرس وغادر؛ ولكنك لست ماكراً تفيض هذراً مثل

المهرجين الطليان أو الفرنسيين، وإنما صموت وحقود مثل أبناء جلدتك. إنّ بين جنبيك لشيطان! والخطايا السبع ظاهرة للعيان بأحرف كبيرة فوق جلد سحنتك العتيق. الخطايا السبع ومعها أرجاس أخرى! أحببتك لكلّ كمال الشرّ المتجسّد فيك، وكنت الرجل الوحيد الذي استطاع ملك مثلي أن يتحمّله... **(يُجْفِل)** آخٍ! لقد أدميت ظلّي! **(يصفع المهرج)** حذار أن تقترب مني وإلا أرسلتك لتنام مع الكلاب، أيها الكلب الزاحف والكلب المنافق! والحق أنّك تجسّد الدراوس[1] في طرائق سلوكك... اسعَ على أربع، يا فوليال!... **(يقع فوليال على يديه وركبتيه)** لا تعض. **(يأمره)** أرقد. حكّ جلدك. **(ينفّذ فوليال ما يؤمر به)** نَمْ. **(يتنهد فوليال ويقلّد الكلب في نومه. فترة صمت. الملك حذر)** بماذا تحلم أيها الكلب أو المهرج؟ **(يقترب فوليال من الملك ويتشمّمه)**. فوليال؟ لا تفعل هذا! هل تستشمّ رائحة الموت أم رائحة الجثة؟ **(يستأنف دقّ النواقيس الحزين. فيمدّ فوليال عنقه ويشرع في النباح بوجه**

(١) الدراوس: كلب حراسة كبير الرأس أفطس الأنف.

الموت. مثل الكلب. **فتتجاوب معه الكلاب خارجاً. ويثب الملك فوق الدرجات مذعوراً)**. عليكم اللعنة! إنهم يضطهدونني. حسبكم! إذبحوا الكلاب والمهرج!... **(يصعد فوليال الدرجات وراء الملك، وهو لا يزال يسعى على أربع، من غير أن يكفّ عن العواء)**. أنا فريسة للكلاب! **(يوجه رفسات للمهرج)**. وقوفاً!...

فوليال (ينتصب واقفاً): أنا خادمك المطيع جداً...

يقف الاثنان في أعلى الدرجات وجهاً لوجه. أما خارجاً فتسمع شتائم، ويهمد النباح ويسودالصمت.

الملك: ماذا تفعل بالقرب مني؟

فوليال: أنتظر أوامرك.

الملك: إنزل.

يهبط فوليال الدرجات بتثاقل ثم يتكوّم على نفسه

فوليال: يا صاحب الجلالة؟...

الملك (جالساً على العرش): هل بدأت أخيراً بلعبة ما؟

فوليال: رحماك؟ دعني أصعد إلى سقيفتي؟ بودّي أن أنام...

الملك: أينبغي أن يبقى الملك وحيداً؟

فوليال: لقد كرّست سني حياتي لما تستنبط. وها أنا أغدو منهكاً. ففكري انطفأ. والنوم يا صاحب الجلالة هجر هذا القصر. فتمرّ الساعات وسط هلوسة جليدية مجمّدة. رحماك، إنّ المهرج يشعر بالنعاس؟...

الملك: ليس بعد. فلا بد من الانتظار حتى ينصرف الموت.

فوليال: لا يليق بنا أن نضحك والموت منهمك في عمله...

الملك: وماذا لو راق لنا أن نضحك؟ حسبك شكوى! أريد أن أضحك وتريد أنت أن تنام؟ ينبغي أن أضحك. وما لم تقوَ على تسليتي تجد غاروت[1] الخبيثين من خدم ووزراء أو مهرجين بانتظارك، إنه الغاروت الذي يجعل مظهر رأسك شنيعاً! هل تملأ رأسك الأشباح؟ اضحك، وإلا سلّمتك لجلادي الذي سيعاملك مثل يهودي أو مزيف نقود...

فوليال: رحماك؟...

الملك (واقفاً): ماذا يبقى لي إن صار مهرّجي حزيناً واجتاحه النعاس؟ وماذا يعنيك إن ماتت الملكة وأدّى الموت

---

(١) الغاروت: آلة إعدام من القرون الوسطى ظلت مستخدمة في إسبانيا حتى أواخر عهد فرانكو. فيجلس المحكوم على كرسي ورأسه داخل حلقة تضغط على عنقه حتى الخنق. (المترجم).

عمله؟ . . . ألن يعتقدوا أن امرأتك أو ابنتك قد مضت نحو مملكة الديدان؟ . . . **(غاضباً)**. أريد ملهاة، هات اخترع! . . .

فوليال: (وهو يقوم): إنها ملهاة عميقة وموجزة. وهي آخر ما أنا قادر على أدائه . . . سوف نؤديها نحن الاثنين، يا صاحب الجلالة . . . **(يؤدي التحيّة لجمهور وهمي، ويبدأ إيمائية يقدّم فيها الملك ثم يقدّم نفسه. ثم يدور حول نفسه ويصعد الدرجات بوثبات متقطعة)**. يقومون في ديرتي أيام المرفع باختيار شخص سليم الطويّة. فيجهزونه بالبهارج ويضعون على رأسه تاجاً وفي يده صولجاناً. ويصنعون من ذلك الرجل ملكاً. فهو ملك يحتفون به ويقودونه نحو عرشه الموهوم. ويقدّمون له فروض الطاعة والتكريم حسب الأصول. وتمرّ مواكب الغوغاء، فتثير الاهتمام وتراوغ وتهتف. والملك يشرب فيعبّ من الجعة ويمتلئ زهواً. وحين يغدو متنفّجاً جداً لما صار إليه . . . **(يثب نحو الملك)**. يرمون بتاجه أرضاً . . . **(ينتزع التاج ويرمي به فيتدحرج فوق الدرجات)**. وينتزعون من يده الصولجان . . . **(ينتزع الصولجان من يد الملك)**. ليُعيدوه رجلاً مثلما كان من

قبل! . . . **(يتراجع)**. هكذا على نحو ما فعلت. **(بنفاق)**. هل فهمت؟ أنت لم تعد إلا رجلاً، ولكم أنت دميم! . . . **(يتخلّص بسرعة من قبعته كمهرّج وينزع صولجان التهريج من نطاقه. ويواصل وهو يَصْفر)**. وأنا عثرت مثلك على ظرفي كرجل. ودمامتي مثل ما أنت عليه! . . . منذ زمن طويل وأنا أُعِدُّ هذا. فهل سيروق لك؟ سوف تضحك على طريقتك الفلامنكيّة التي تحبها! أما أنا فسوف أنظر إليك وأنت تضحك بطريقة لا يمكن وصفها مثلما يضحكون داخل أقبيتك! . . .

يداه تنفتحان وتتباعد أصابعه. الملك تصطكّ أسنانه. يبدو فوليال وقد فقد إدراكه فيداه تتحركان تلقائياً وتتقدّمان في الفراغ، جبّارتين، نحو عنق الملك، الذي تتراخى ساقاه فيتهالك فوق العرش فاغراً فاه. ويريد أن يصرخ غير أن الصرخة لا تنطق. تبدأ اليدان بالضغط على عنقه. فتنحبس أنفاسه. لكن ضحكة حادة تنطلق من فمه المفتوح. وتسوط تلك الضحكة المهرّج الذي يتراخى فيسبل يديه. فيترك الملك عرشه ليقف على بعد منه.

الملك (لاهثاً) : ملهاة ناجحة، ويا لها من ملهاة! . . . دعني أضحك حتى أرتوي! . . . كم أجدتَ التمثيل، كم أجدتَ اصطناع الحقد! . . . إن دهشتي لكبيرة! فأنا لم ألحظ يديك البتّة! إنّ يديك لمدهشتان! حين تستولي الغباوة عليك استيلاء تاماً، أُحولّك إلى جلاد، هذا ما لم تُخْنَقْ في تلك الأثناء . . . **(يهبط بضع درجات ويبصق في الهواء)** . أيها الصديق، أنها ألعاب الفلاحين! . . . **(بقسوة)** . اقترب، يا حشرة؟ . . .

فوليال (وقد عاد إلى الواقع) : يا صاحب الجلالة؟ . . . الجلاد؟ . . .

الملك : ليس بعد! **(يمسك بفوليال من كتفه)** . كم كانت ملهاتك مُلْتَبِسة ولكن أحبّ الالتابس! لم أكن في غاية الارتياح غير أنك دهشتني . وأخيراً فقد ضحكت ضحكاً جاء من أعماق أحشائي، وهذا مزاجي يعود رائقاً . . .

فوليال (متلعثماً) : ليست الأمكنة مُلْهِمةً على الإطلاق .

الملك : بكل تأكيد، فأنت لست في أيام سعدك! **(يضرب فوليال على بطنه)** . ولم تعرف كيف تجني الفائدة من ملهاتك، كلا . . . أو أنّه كان ينبغي أن تختفي لكنك لم تكن بالرجل الذي حسبته . **(يضحك بصوت خافت)** .

أنا أفهم، من ناحيتي، فنّ الممثلين والمهرجين. . . فأحيطهم بعطفي كله! وتسكن روح مهرج في داخلي، لا سيما هذا المساء. ، ماذا لو قمنا بالتمثيل؟ فالأمر يسير ما دمنا غدونا رجلين اثنين. وأمّا لشيء آخر فحسبنا بعض اللوازم. نحن رجلان. هل فكّرت في ذلك؟ فها أنا من ملك وأنت من مسخ، قد صرنا رجلين. إنني لمستمتع بذلك إلى حدّ جنوني! أما أنت، أيها الميزاب، فوجهك يعكس الهمّ والغمّ واليأس - أي كل ما ينبغي أن يظهر على وجهي أنا، غير أنه لن يظهر رغم جهودي! أما دمامتك فملكية، إنها ملكية حقاً. . . وعليه فلنبدأ التمثيل! . . .

يلتقط من فوره التاج والصولجان. فيضع التاج على رأس المهرج ويسلّمه الصولجان بيده؛ ثم ينزع معطفه ليسدله على كتفي فولیال الذي لا يستوعب شيئاً ويدافع بوجل.

فوليال : خديعة! . . .

الملك : هزلية! . . . **(يتراجع فيتأمّل المهرّج بمجاملة)**. يا له من ملك! . . . يا له من ملك على المعدومين حرقاً! . . . **(بعنف)** الملهاة مستمرة! هيا تسلّق، حتى العرش، أيها الغوريلا المتوّج! . . .

بينما يصعد فوليل درجات العرش بتثاقل، وهو ينوء على ما يبدو تحت عبء التاج والصولجان، يعتمر الملك قبعة الأحمق ويقبض على صولجان التهريج. يتهالك فوليال على العرش فور وصوله إليه ويتأمّل تصنّع الملك عند أسفل الدرجات، بذهول عميق.

فوليال: يا صاحب الجلالة؟ . . .

الملك (مؤدياً تحيّة بتقليد ساخر): يا صاحب الجلالة! . . . أريد بطرائق لهوي أن أبدّد أفكارك المكتئبة. الملكة مشرفة على الموت؟ وسوف أدخل، بصفتي مهرّجاً مخلصاً، تنويعاً على هذا الموضوع: الملكة، منكودة الحظ . . . لكنّي أهزأ من ذلك. فليس من مهمتي أن أحزن! إن ماتت الملكة عشرواً على واحدة أخرى! فدعني أضحك! إنّ استمتاعي لهائل. ألم أولد مهرّجاً، يا صاحب الجلالة؟ فأنا من طبيعة منافقة وغادرة ومموّهة، وأشابه النساء من تلك الناحية. أما تلك المرأة، وأقصد الملكة، فقد تمكّنت في طرفة عين من أن تكشف عجزي لتخصّني بالإزدراء المطلق! لقد أصدرت الملكة حكمها عليّ جسداً وروحاً، ورأت أنّي مهرّج رغم ثيابي الفاخرة. أما حين تصرّفت كملك فلم

تنخدع بذلك. صدقني، يا صاحب الجلالة، لقد بذلت كل ما وسعني لاستمالتها، فأدّيت أجمل الحركات المضحكة. ولم آل جهداً لكن بلا طائل... (**يبدأ بأداء رقصة قديمة**). لكن هل يسع المهرّج أن يقصّ سيرة حياته؟ إنّه يرقص!... أنا أرقص للموت! أرقص لانعتاقي! أرقص للمواكب الجنائزية، ولسقوط تلك الدمية المصنوعة من الشمع والملأى بالأفاويه، في هوّة العدم! هيا، فلينزلوها بسرعة إلى الأقبية الرمسيّة تحت زخّات من الماء المقدّس! فأنا لا أخشى شبحها. (**يستأنف الرقصة القديمة**). لا تندهش إن كنت أرقص. فأنا أرقص كأرمل، أرقص مثل تيس السبت ومثل ساتير[1] قديم... (**يقطع حديثه ويتمدّد متعباً فوق الدرجات**). هل راقت لك مناجاتي لنفسي، يا صاحب الجلالة؟...

فوليال: يا زنديق!... تلك التي تشرف على الموت حسناء طاهرة وقديسة. وهي مشرفة على الموت بسبب صمت هذا القصر وظلماته. فجدرانه لها عيون وقاعات الاحتفال فيه تعجّ بالفخاخ وأدوات التعذيب. إنّها تموت بسبب العيش وسط كائنات مشؤومة في مملكة

(١) شخص خرافي من الميثولوجيا اليونانية نصفه الأعلى بشر والأسفل ماعز.

تقطر دماً ويسودها الجواسيس ورجال التفتيش. وأقول لك إنّ الموت فاعل خير، تمنيتُ أنا قدومه مثلما تمنيته أنت. فأقبل على جناح السرعة. فهو لا يبتعد أبداً عن هذه الأمكنة التي يحوّم حولها ويتقاسمها هو والجنون.

الملك: آه، يا صاحب الجلالة! أمن الحكمة التحدّث بمثل هذه الحرية؟ وليس من يقدر على عرض كلام بهذه الصراحة سوى الملك، لئلاّ تأتي كمّامة سميكة فتكتم أنفاسه.

فوليال (الذي يسمع القول): اصمت أيها المهرج! فأنا أعرف ألاعيبك الدنيئة جداً. ما أنت إلاّ وصمة عار، مهووس بالقذارة ومحب للأقزام والمشعبذين، وأمّا ملذّاتك الآثمة فتتراوح بين رائحة الجسد المحترق وثرثرة طيور الببغاء. أما خطاياك فيشحب منها وجه اللاهوت. وإذا لم يأخذ الرب بخناقك فذلك لأنه يعد لك ميتة كميتة هيرودس، بل أسوأ...

الملك: يا صاحب الجلالة لا تثقل عليّ بتعنيفك! فمهنتي ليست نبيلة جداً، مهنتي فحواها الإساءة. فهل يسعني أن أعرف، أنا الذي أعيش بمعزل عن الإنسانية، ما حقيقة الحب لدى الآخرين، وما ألمهم؟ ما من شك في أنّي عانيت أيضاً من ذلك الإزدراء. آه من ذلك

الإزدراء . . . مثل وخز الإبر . . . **(بصوت خافت)** أعرف أنك كنت الوحيد في فهمك «إياها»، تلك التي لا يمكن فهمها . أما النظرات التي كانت ترمقك بها، فليست تلك النظرات الجامدة التي تجعلني أرتعد مذلّة، بل هي نظرات عميقة نديّة، نظرات كلبة كلّها عرفان . . . **(يرتقي الدرجات)** . تلك الملكة؟ أنا أعرف أنّك قد ارتقيت فبلغت روحها، على الرغم من تآمر الأسوار والرتاجات والخدم . . . **(صوته يختنق)** . وقد امتلكت جسدها . . .

فوليال (ينتصب واقفاً فيترنّح) : هذا العرش، بعلوّه الفائق . . . يسبّب الدوار! . . .

الملك : أجل، حكاية حب غريبة! . . . ففي مساء عاصف، يعجّ بالذباب والروائح التفهة، رأيتك تزحف عبر الدهاليز . . . ومضيت، أنا المهرج، على أثرك زاحفاً . . . **(يوشك صوته أن يتلاشى بغتة)** . وعرفت النشوة البشعة في أن أكون شاهداً على نشوتك، فتلوّيت بصمت فوق الأرض المبلّطة . . . **(بصوت حاد)** . يا صاحب الجلالة، إنّ الملوك لا يحبون، وهذه قاعدة . فملوك هذه البلاد يحكمون وسط الإزدراء

الشامل! . . . **(يصـــعــد بـضع درجــات أخـــرى)**. واستدعت تلك السعادة كلها عقاب المهرّج. هل تصغي إلى، يا صـاحب الجـلالة؟ . . . **(يقـول وهو مـلاصق فوليال)**. الملكة . . . نجمة . . . نحلة . . . موسيقى . . . مـلاك . . . الملكة مـشـرفـة على الموت حـبـاً، من هذا الحب، كما في الروايات القديمة التي عفا عليها الزمن! إنّها مشرفة على الموت بسبب هذا الحب الفظيع والذي يعجز الفهم دونه! فهل كانت تعرف ذلك وهي تستنشق الهواء في غرفتها، وأثناء تناولها فاكهتها المفضّلة؟ . . . **(يهبط ثلاث درجات)**. إنها تموت مثلما يموت العظماء في هذه البـلاد . . . **(يصرخ بصـوت حاد)**. إنهـا تموت مسمومة! . . . **(ساخطاً)**. لا يـدخـل الحـب إلـى هـذا القــصــر! . . . إنّه لمحظور على المرء أن يحب في هذا القصر! . . . **(يتدحـرج حتى أسـفل الدرجات)** آه مـن الأضحوكة . . .

فوليال (يهبط كالنشوان) : أيها المهرج، هل أنفجر ضاحكاً؟ أم أنت نطقت بالحقيقة؟ . . .

الملك : عليّ عـذاب النار! لكن هلاّ قلت لي! من منا نحن الاثنين ذو عبقرية؟ . . .

فوليال: أنت ممثل كبير.

الملك: نحن من كبار الممثلين! حسبنا، فالألعوبة انتهت، ولنستعد هويتنا.

فوليال (هارباً فوق الدرجات): إنه تاجي!... فأنا الملك!...

الملك (يلاحقه): إنّه تاجي!... فأنا الملك!...

فوليال: إنّما أنا الملك، ما دمت حظيتُ بحب الملكة!...

الملك (متشبثاً بالمهرّج): احتفظ بالحب وأعد التاج!...

يتماسكان فيدور صراع صامت بينهما فوق درجات العرش. يدخل الراهب.

الراهب: فلتعلم جلالتكم... (ينفصل الاثنان أحدهما عن الآخر، وهما يلهثان) أنّ الملكة...

يسعى لأن يخرج وقد استولى عليه الخوف. فيثب فوليال نحوه.

فوليال: ماذا؟ ما شأن الملكة؟... تكلم، فأنا الملك!...

الراهب: إني أعلن للملك... إنّ الملكة قد ماتت!...

(ينتزع الملك من فوليال، وقد لبث مسمّراً في مكانه، التاج والصولجان والحلّة).

وينبغي أن يأتي الملك، كائناً من كان!...

فوليال (يسقط على ركبتيه ويغطي وجهه) : فليتلقّها الله! . . .

الملك : فليذهب بها الشيطان! . . . (**يضع التاج ويرتدي الحلّة**). يا أوروس؟ . . . (**يشير بصولجانه صوب الحاجز ثم يدل على المهرج . ويبصق من بعد على فوليال**). من بعد الأضحوكة المأساة . . .

فوليال (وهو ينتحب) : إنّ الملكة قد ماتت! . . .

يدخل الرجل القرمزي، الرشيق رغم ضخامته، ورأسه مغطى بقناع . وبعد إشارة جديدة من الملك يهوي فوق فوليال فيخنقه بصمت .

الراهب : دعني أطلب له المغفرة؟ . . .

الملك : هل وُضِعَتْ أسرار الكنيسة للمهرّجين؟ . . . هلموا إلى واجبنا! (**يمشي بضع خطى نحو اليسار**). أنت، أيها الجلاد؟ . . . (**ينتصب الرجل القرمزي فيفرك كفاً بكف**). مهرّجي؟ . . . يا لمهرجي المسكين! . . . (**يقول للراهب**) الملكة، يا أبت، شيء يمكن العثور عليه، أما المهرّج! . . .

الراهب : أستحلفك بالسماء، أن تأتي! . . .

الملك : أجل، ينتابني الحزن العميق، يا أبت، الحزن العميق . (**يغمز بعينه للراهب غمزة دنيئة**). إذن؟ كنت تقول إن الملكة قد ماتت؟ . . .

وينفجر ضاحكاً بغباوة ويمضي في إثر الراهب. ثم يخرج الجلاد وهو يجرّ جثّة فوليال. يسمع ضحك الملك الهيستيري وهو يتضاءل تدريجياً. تستأنف النواقيس قرعها. هناك مدفع يدوّي. تعود الكلاب للعواء خارجاً.

الستارة